المرأة في لوحات الفنان

سعد الطائي

م. م. الهام صبحي عبد
جامعة بغداد/كلية الفنون الجميلة

الفصل الأول

1- مشكلة البحث :

تجسّدت صورة المرأة في الفن التشكيلي على مراحل التاريخ والعصور بصور وأشكال مختلفة ، حيث كان لها حضور ملموس و واضح على مر الأزمنة ، فقد مثّلت فيه جوانب عديدة من حياتها اليومية ، فهي فضلاً عن كونها المسئولة عن شؤون المنزل والأطفال كانت تساهم في أعمال الزراعة والحياكة والفخار . وجسّدت أدواراً يختلف فيها الواحد عن الآخر من حيث دلالاتها ومعانيها في جانبيها الحضري والريفي لما للمرأة من دورٍ كبيرٍ في المجتمع منذ الأزل ، حيث إنها تُمثل نصف المجتمع فهي الأم والأخت والزوجة والحبيبة فضلاً عن دورها في الحياة إلى جانب الرجل تسانده وتساعده وتؤازره وتُعينه على ظروف الحياة الصعبة وتُهوّن عليه مشاقها ، فلا يجوز أن ننكر عليها هذا الدور وهذا الحق . فكل عمل فني يحمل في داخله فكرة يُراد إيصالها من قِبل الفنان للمتلقي ، لذا يتعين علينا معرفة معنى المرأة في الرسم بشكل عام والعراقي بشكل خاص . وقد تناول اغلب الفنانين المرأة في العديد من أعمالهم لذا ارتأت الباحثة في موضوع بحثها هذا دراسة دور المرأة في اللوحة التشكيلية وابرز واهم المضامين التي وردت في مجموعة منتقاة لأعمال الفنان سعد الطائي وعلى مراحل مختلفة ولبيئات مختلفة في الفن العراقي .

2- أهمية البحث :

يتناول البحث دلالة المرأة ودورها في الأعمال الفنية العراقية للفنان سعد الطائي لما لها من أهمية ودورٍ ليس بالقليل في المجتمع بشكل عام وبإلهام الفنانين العراقيين بشكل خاص .

3- أهداف البحث :

البحث عن دور المرأة في لوحات الفنان سعد الطائي .

4- حدود البحث :

يتحدد البحث بدراسة الأعمال الفنية للفنان سعد الطائي التي جسّد فيها دور المرأة في الحياة وتأثيرها في المجتمع العراقي في نهاية فترة التسعينات وبداية الألفية الثالثة .

الفصل الثاني

الإطـار النظري

نبذة مختصرة عن الرسم العراقي المعاصر :

تعتبر بداية الرسم العراقي الحديث هي في القرن العشرين ، " وقد كان عبد القادر الرسام (1889 – 1953) أقدم فنان فيه ، فقد جسّدت أعماله البيئة العراقية ." [1] كـذلك مثّلت أعمال زميله محمد صالح زكي (1888 – 1973) مشاهد من الطبيعة . ويُعتبر هذا الجيل المؤسس الأول لفن الرسم في العراق حيث كانت " أعمالهم تتّسم بالطابع التسجيلي ألمُحاكاتي للبيئة العراقية . وفي حلول الثلاثينات أُرسل أول مبعوث للخارج وهـو أكـرم شكري ثم تلاه فائق حسن وعطا صبري وحافظ الدروبي وجواد سليم " [2] . أوفد هـؤلاء لتعلّم أساليب العمل الفنية ليعودوا بعد ذلك ليكونوا الأساس في الفن العراقي . " وبعـودة فائق حسن (1938 – 1939) تم افتتاح فرع الرسم الذي أصبح معهد الفنون الجميلة ثـم فرع النحت 1940 وكان باستلام جواد سليم " [3] وبعد ذلك شهدت بغداد مرحلـة جديـدة وهي قدوم البولونيين وقد اشتركوا مع الفنانين العراقيين بحب الحياة والأشـياء البسـيطة وليس مجرد تبادل مدارس .

---

[1] جبرا، جبرا إبراهيم: جذور الفن العراقي، طباعة الدار العربية، دار واسط، بغداد، 1986، ص 5 .

[2] الراوي ، نوري : تأملات في الفن العراقي الحديث ، مديريـة الفنـون والثقافـة الشـعبية ، وزارة الإرشاد ، بغداد ، 1962 ، ص 50 .

[3] آل سعيد ، شاكر حسن : فصول من الحركة التشكيلية في العـراق ، ج1 ، دار الشـؤون الثقافيـة العامة، دار آفاق عربية ، بغداد ، ص 7 .

وتوالت المعارض بعد ذلك ونالت اهتمام الناس واشتد النقاش حول الأساليب الحديثة والتقنيات المختلفة . " وأُقيمت المعارض في معهد الفنون ودار المعلمين العالية ومعرض بغداد للرسم والنحت لنادي المنصور في الأعوام 1956 ، 1957 ، 1958 ثم معارض الفنانين العراقيين مع الفنانين الأوربيين في الأعوام 1951 ، 1953 ، 1956 ، ثم معرض المرفوضات عام 1958 ." [1]

شهدت فترة الستينات في الحركة التشكيلية العراقية تأسيس أكاديمية الفنون الجميلة عام 1962 حيث ازداد عدد الخريجين . " وقد كان العقد ما بين 1958 – 1968 غني بالتحولات والأحداث التي انعكست على الفن آنذاك " [2].

وان فترة السبعينات تعتبر فترة مهمة في تاريخ الفن العراقي المعاصر " حيث أصبح هناك دور جديد للفنان العراقي في تحريك الوسط الفني وهو امتداد للفترة السابقة في ظل التحديات الحضارية التي ساهمت بتكوين وعي فكري أدى إلى بلورة مفهوم جديد لدور الفنان العراقي " [3].

الأسلوب الفني للفنان سعد الطائي *:

تُعد تجربة الفنان سعد الطائي كشف عن عدّة أساليب واتجاهات في مطلع الخمسينات ، فهو يُعبّر عن كل ما يدور في مُخيلته من أفكار مستوحاة من الحياة المُعاشة . " فقد كان للطفولة اثر كبير في حياته باعتباره قوي الملاحظة في متابعته للأشياء المحيطة به وتمتعه بكل شيء من حوله ، أدى ذلك إلى تكوين خزين في دماغه أفاده فيما بعد في تكوين أعماله الفنية ." [4] فقد كان الفنان يأخذ أشكالاً من الواقع ثم يقوم

---

[1] نفس المصدر ، ص 8 .

[2] كامل ، عادل : الفن التشكيلي المعاصر في العراق ، د. ن. ، د. ب. ، د. ت. ، ص 8 .

[3] السامرائي، إخلاص ياس خضير: التطور الأسلوبي في رسومات الفنان سعد الطائي،رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، قسم الفنون التشكيلية ، 2003 ، ص 102 .

* ولد الفنان سعد الطائي في محلة الوردية في الحلة في 13 من كانون الثاني 1935 وهو من أسرة ميسورة الحال معروفة في الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه ، حيث نشأ في بيت شرقي معروف بشناشيله وتفتحت موهبته منذ صباه ، ففي عام 1941 كان في الصف الأول الابتدائي وجد نفسه يرسم متأثراً بما وجد نفسه عليه . وتطورت موهبته أثناء دراسته المتوسطة والإعدادية وتطورت معها وسائل التقنية بالرسم منها الزيت بدل الباستيل والفحم ، ثم ذهب إلى إيطاليا لإكمال دراسته في مجال الرسم وهي بلد الفن والجمال وبعدها واصل نشاطه ولازال لحد الآن دون انقطاع .

[1] مقابلة أجرتها الباحثة مع الفنان سعد الطائي في كلية الفنون الجميلة بتاريخ 2008/5/8 .

بتشذيبها واختزالها فهذا يعتبر تغييراً ملحوظاً في أعماله ، حيث تحول من الأسلوب التعبيري إلى الأسلوب الرمزي ، فهو يعتمد على فكرة التركيب التكعيبي المتأتي من تقاطع الخطوط الناتج من فكرة انتشار اللون على السطح ليبدو اللون أكثر رصانة لما تحتويه من تكوينات قوية . " فرسومه في مرحلة الستينات تعد بداية النضوج له فهي لها سمات تعبيرية من الواقع حيث ربط أفكاره بفنه فقد قام بإدخال التقطيعات في فضاءات اللوحة وتداخلات في الألوان المجاورة " [1].

وقد كان أسلوب الفنان سعد الطائي يحمل تعبيراً حقيقياً يتسم بالبساطة . أما أعماله فتكشف عن مشاعره الإنسانية التي تعكس الواقع المعاش الذي تأثر به بطبيعة الحال فضلاً عن " دراسته في روما وتأثره بأساتذته ، حيث نشأ حبه لمعرفة الأشياء فكان يتمعن بالخطوط والألوان والضوء والظل وكل ما يؤثر في الأشكال ، ثم بدأ بالاختزال فوضع الألوان متداخلة مع بعضها لتظهر الشفافية ولتكوّن أشكالاً لونية جديدة ، وجاءت التقطيعات في فضاءات اللوحة بوجود خط ." [2]

فالعمل الفني هو وحدة متكاملة بجميع عناصره وبمجموع هذه العناصر تتكون الفكرة التي اجتمعت من اجلها ليتم إيصالها للمتلقي .

الفصل الثالث

1- مجتمع البحث :

بعد قيام الباحثة بإجراء دراسة استطلاعية لمنجزات الفنان سعد الطائي الفنية حددت نماذج مختارة من أعمال لها القدرة والفاعلية التعبيرية عن مجتمع البحث .

2- عيّنة البحث :

إن تحديد عينة البحث تم بصورة قصدية من مجمل نتاجات الفنان بعد استبعاد الأعمال البعيدة عن الموضوع المبحوث . وضمن حدود البحث الموضحة في الفصل الأول لذا فقد اختارت الباحثة أربع عينات تمثل مجتمع البحث بما يتفق وأهدافه في الكشف عن دور المرأة لدى الفنان من خلال دراسة تحليلية لأعماله . والأعمال المختارة هي : الزيارة ، الدعاء الصامت ، الأمل ، عائلة .

---

[1] جبرا ، جبرا إبراهيم : المصدر السابق ، ص 23 .

[2] السامرائي ، إخلاص ياس خضير : المصدر السابق ، مقابلة أجرتها الباحثة مع الفنان سعد الطائي في كلية الفنون الجميلة بتاريخ 2001/7/4 .

3- منهج البحث :

استخدمت الباحثة المنهج التحليلي الوصفي لأعمال الفنان سعد الطائي للكشف عن دور المرأة فيها .

4- أداة البحث :

استخدمت الباحثة المقابلة مع الفنان سعد الطائي أداةً لبحثها .

5- تحليل العيّنات :

العيّنة (1) الزيارة

إن التفاعل في الأعمال الفنية يأتي من عدة عوامل بداية من الفكرة إلى أن ينتهي العمل ويتم عرضه على المتلقي وبذلك يتم نقل كل ما هو مخزون في الذاكرة إلى الواقع متجسداً بشكل عمل فني . ويدخل عنصر البيئة والعامل الاجتماعي وتأثيره على مخيلة الفنان في إظهار نتاجه بهذا الشكل أو بآخر .

وقد كان لطفولة الفنان سعد الطائي اثر في إظهار أعماله بهذا الشكل حيث تأثره بالأقواس والدهاليز والممرات المظلمة بما تحمله من رهبة وخوف ، فبعض الأبواب مغلقة أو مفتوحة وعزلة النساء عن الرجال للعبادة في هذا المكان المقدس كل هذه جلبت انتباه الفنان في صغره وأسقطها فيما بعد في أعماله مثل لوحة الزيارة التي جسّد فيها رجل وامرأة في حالة الزيارة لأحد المراقد المقدسة وهما يسيران في الطريق وقد احتلا جزءاً ليس بالقليل من اللوحة من جهة اليسار أسفل اللوحة وكالمعتاد والمرأة في لباسها الشعبي وهو العباءة البغدادية كزي أساسي ورئيسي في تلك الفترة ، وكذلك هو زي تلبسه النساء حتى في وقتنا الحاضر أثناء الزيارة للمراقد المقدسة احتراماً للمرقد حيث نرى انه لا يظهر من المرأة سوى قرص الوجه كنوع من الحشمة والوقار والى جانبها الرجل بالزي العربي البغدادي وهي الدشداشة البيضاء رمز النقاء والطهر والشِماغ على رأسه والعِقال وهو مرافق للمرأة كنوع من الحماية .

أما الجزء الأكبر من اللوحة فقد شغلته القِباب والأبواب الدالة على المكان حيث تشابكت الخطوط العريضة مع الخطوط الدقيقة لإظهار شكل المكان وتفاصيله كالقِباب والأروقة التي شكّلت الجزء الأعلى من اللوحة وشكلت جزءاً أساسياً فيها وقد تلاشت القباب نحو الأعلى دلالة العلو والسمو الذي أظهره الفنان من خلال ارتفاع الأقواس والمنارات إلى الأعلى وكأنها سوف تلتقي في نهاية المطاف في نقطة واحدة .

وقد نلاحظ استخدام الفنان للألوان الغامقة الحارة والباردة كالأحمر والأزرق والبني وتدرجاتهم مع الألوان الفاتحة لإظهار وإبراز معالم الشكل ، فنرى هنا إن الأشكال جسّدها الفنان بشكل واقعي أما ما حوله فهو بشكل تكعيبي وكذلك نلاحظ الاختزال في أعمال الفنان ، فالعمل الفني هنا هو وحدة مترابطة مع بعضها البعض .

العيّنة (2) الدعاء الصامت

إن العمل الفني هو ليس مجرد نقل لواقع لحياة وتعبير عن المشاعر والانفعـــالات وإنما هو عبارة عن عالم مليء بالإشارات والرموز التي تُنقل من خلال العمـــل الفنـــي للمتلقي فهو نوع من التأمل الذي يعكس الإحساس الباطني العميق داخل الـــنفس يعكســـها الفنان برؤيا وخيالات تعكس إحساسه الذاتي .

وقد مثل الفنان في هذا العمل حياة الناس البسطاء في موضوع اجتماعي محلـــي ، وقد مثّل الجزء الأسفل من اللوحة مفردتين المرأة جالسة ترتدي العباءة الشعبية وطفل لا يظهر منه سوى رأسه وكأنها تحيطه خوفاً عليه من كل ما هو محيط به ، ولكي تشـــعره بالأمان ونلاحظ عدم تركيز الفنان على المسائل التشريحية للشكل .

وقد احتلت الأقواس والقِباب معظم سطح اللوحة بأشكال وأحجام مختلفة ونلاحـــظ استخدام الفنان في بناء اللوحة الخطوط والمساحات الهندسية بحيث نظّم الشكل من خلال استخدام التكرار والتشابه . فكل جزء احتفظ بكيانه الفردي لتوحيد العمل الفني والتـــداخل والتشابك للمساحات مما عكس التأثير البيئي للفنان وتجسيد للتراث .

كما استعمل الفنان الألوان الباردة مع الحارة كالأخضر والبرتقالي وتـــدرجاتهما ، حيث كان اللون البارد هو المهيمن على اللوحة مع تكرار اللون الاخضر واستخدام التدرج اللوني وكذلك الألوان الغامقة والفاتحة في تداخل لوني منسجم .

وقد جسّدت المرأة مع الطفل هنا في هذا العمل حالة التعبُّد بشكل هادئ للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى الذي يلجأ إليه الناس في كل وقت ليحفظهم من كل مكره وسوء .

أما الملمس فقد أعطى الفنان للشكل صفة التسطيح وقد نبع مضمون العمل الفني من واقعية المجتمع المعاش .

العيّنة (3) الأمل

يعد العمل التشكيلي تعبيراً عن رسالة فيهـــا الكثير من الرموز على المتلقي فهمها وتفسيرها ، فالعمل الفني ليس مجرد صور بل هو تعبير عما بداخل الفنان يظهره بهـــذه الرموز والأشكال ، فالفن التشكيلي هو أداة تواصل فكرية بين الأفراد تعبر عن المجتمع .

فلوحة الفنان سعد الطائي هنا تعبر عن مجموعة من النساء أربع مفردات وقد بني الشكل من تداخل الخطوط والأشكال والعلاقات اللونية فيما بينها وتقطيعات علـــى شـــكل الأقواس متداخلة مع بعضها البعض واختزال الشكل وتبسيط الملامح .

والعلاقات اللونية في هذه الأشكال متوزعة بتدرجات لونية متداخلة ومحددة باللونين الأزرق والأخضر وتدرجاتهما مع لمسات من اللون البرتقالي وضعها الفنان في اللوحة متجانسة ومتداخلة مع الألوان الأخرى فأعطت جمالية وحيوية للعمل بشكل عام .

وكذلك نرى أيضا الأقواس المحيطة بمجموعة النساء كأنها تحميهم وتتلاشى إلى الأعلى ، فهذا يعطيها نوع من الرهبة كما يعطيها مكانة عالية ، كما ينظر الصغير للكبير نظرة احترام وخوف .

كذلك نرى أيضاً أن الفنان قد أضاف في وسط هذه العائلة النسوية مجموعة من الحمامات البيضاء اللون رمزاً للسلام وحب الحياة والطمأنينة . البعض منها في حالة الطيران كرمز للحرية والانطلاق والبعض الآخر في حالة السكون ، وكذلك منظر الشناشيل البغدادية أمامهم توحي بالبيئة البغدادية القديمة ، فالشناشيل كانت آنذاك رمزاً لهذه البيئة .

العيّنة (4) عائلة

يعتبر العمل الفني انعكاساً للواقع وان هذا الواقع لن يتكون إلاّ من خلال استيعاب الطبيعة والبيئة العراقية وتراثنا القديم ، فلوحة الفنان سعد الطائي بعنوان عائلة متكوّنة من خمس نساء مع رجل ، ودائماً يتكرر وجود الرجل مع المرأة في الأعمال كنوع من الحماية لها أي لهذا الكائن البسيط الشفاف الهادئ الوديع .

وقد استخدم الفنان الاختزال والتبسيط في رسم الأشخاص وملامحهم وربط الأشكال بعلاقات لونية وبأشكال هندسية متداخلة ، كما استخدام اللونين الأزرق والأخضر وتدرجاتهما مع لمسات من اللون البرتقالي الذي أضفى على اللوحة لمسة جميلة تدل على الحياة كالمعتاد ، وارتدت النساء العباءة الشعبية ولوِّنت باللون الداكن لإبراز لونها .

أما خلفية اللوحة فقد زُيِّنت بالأقواس والقِباب بشكلها العمودي التي أحاطت بالمكان من كل جانب لإظهار قدسيته فنرى التداخل الحاصل بين هذه الأشكال المترابطة مع بعضها البعض الممتدة للأعلى وكأنها سوف تلتقي في القمة لإظهار العلو والسمو والكبرياء للمكان .

ونرى كذلك إن الفنان قد أضاف للعمل الفني قطة بيضاء وضعها في أسفل اللوحة من ناحية اليمين أمام إحدى النساء وكأنه يريد القول بأن القطة في اللوحة تدل على الوداعة وتُكمّل العمل الفني والفكرة الداخلية للوحة ، لان هناك رابطة بين المرأة والقطة لوداعتها ، وتدل اللوحة كذلك على تكاتف العائلة فنرى وجود ثلاث نساء مع الرجل والطفل كعائلة ، وهي أيضاً تأخذ الجانب الديني لوجود رموز الأقواس والقِباب ، ونلاحظ بذلك حب الفنان للمرأة فقد تناولها في الكثير من أعماله وأعطاها من اهتمامه جزءاً ليس بالقليل .

الفصل الرابع

1- عرض النتائج :

1- كشفت اللوحات المُختارة عن مؤسِّسات ومرجعيات التعبير التي يتعامل بها الفنان في عمله الفني .
2- أظهر الفنان جمالية البيئة العراقية وخصوصاً المراقد بما تحويه من قِباب ومنارات وأقواس تُعطي المكان قدسية ورهبة واحترام .
3- تشير اللوحات إلى مجموعة من مظاهر الحياة الاجتماعية التي تميزت بها البيئة العراقية ، حيث كان لها اثر واضح في أعماله .
4- استبدل الفنان في لوحاته الشكل الظاهر بالتعبير عن الشيء الخفي وراءه لاسيما لوحات النساء بالعباءة الشعبية البغدادية .
5- اظهر بساطة المرأة العراقية و وداعتها في زيها الشعبي البسيط .

6- وجود الرجل في بعض الأعمال بصيغة الحامي والحارس للمرأة .
7- وجود التقاطع والتشابك الواضح في الأشكال المرسومة لاسيما الأقواس والقِباب بشكلها العمودي والمائل وكأنها سوف تلتقي في النهاية .
8- نلاحظ بروز واضح للونين الأزرق والأخضر في اللوحات المختارة .

2- الاستنتاجات :

1- كان لهذه المرجعيات التي استوحى منها الفنان أعماله كالمراقد والقِباب وغيرها اثر كبير في إبداعه للأعمال الفنية ، واستطاع أن يوظف مفردات البيئة العراقية فيها .
2- كان ميله للاختزال والتبسيط في الشكل وراء استبداله بالشكل الظاهر في التعبير عما هو خفي وراءه .
3- إظهار بساطة المرأة العراقية يعود إلى إن البيئة الاجتماعية العراقية التي وضعها الفنان في تلك اللوحات كانت المرأة ضمنها توصف بأنها كائن ضعيف وبسيط ، لذلك تطلّب وجود الرجل بشكل مُلازم ومستمر لها لحمايتها .
4- كان وصف الفنان للقِباب والمنارات بشكل متكرر في تلك الأعمال يعود لتأثّره منذ طفولته بهذه المشاهد عند زيارته للاماكن المقدسة وانبهاره بها وإحساسه بالرهبة والخوف من تلك الأبواب المغلقة والأقواس العالية الشاهقة لما للمكان من قدسية .
5- للانطباع الذي يعطيه اللونان الأزرق والأخضر من هدوء وإحساس بالحياة فقد استخدمهما الفنان بكثرة في تلك الأعمال .

2- التوصيات :

*- إعطاء اهتمام أكبر لدور المرأة ونشاطها في المجتمع والبيئة العراقية .

3- المقترحات :

1- إجراء دراسات أخرى تتناول جميع مفردات حياة المرأة كونها جزءاً مهما في المجتمع ولها دور كبير فيه .
2- دراسة دور المرأة العراقية في أسلوب فنانين آخرين وإجراء مقارنة بين أساليبهم وكيف تناولوا المرأة و وصفوها .

المصـــــادر

1- آل سعيد ، شاكر حسن : فصول من الحركة التشـكيلية فـي العـراق ، ج1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، دار آفاق عربية ، بغداد .

2- جبرا ، جبرا إبراهيم : جذور الفن العراقي ، طباعة الدار العربيـة ، دار واسـط ، بغداد ، 1986 .

3- الراوي ، نوري : تأملات في الفن العراقي الحديث ، مديرية الفنون والثقافة الشعبية ، وزارة الإرشاد ، بغداد ، 1962 .

4- السامرائي ، إخلاص ياس خضير : التطور الأسلوبي في رسومات الفنان سعد الطائي رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، قسم الفنـون التشكيلية ، 2003 .

5- كامل ، عادل : الفن التشكيلي المعاصر في العراق ، د. ن. ، د. ب. ، د. ت. .

المقابلات

1- مقابلة أجرتها الباحثة مع الفنان سعد الطائي فـي كليـة الفنـون الجميلـة بتـاريخ 2001/7/4 .

2- مقابلة أجرتها الباحثة مع الفنان سعد الطائي فـي كليـة الفنـون الجميلـة بتـاريخ 2008/5/8 .